ينابيع الثروة في البلاد . ويحذر رشيد رضا « ... انه لو استمر هذا التواطؤ ... سيكون هذا مبدأ عداوة بين اليهود والعرب ربما أدى الى سفك وتخريب كل ما يملك اليهود » .

وتقدم بعد ذلك الكاتب ( ع. ج. ) في الاهرام ليحول الحوار الى الاتجاه الجديد المفاجيء الذي ورد في مقدمة هذا المقال بطرحه موضوع التفاهم العربي الصهيوني على شكل نصيحة محذرة للصهيونيين . قد يكون الدافع لهذا العرض هو عداء تلك الفئات التي يمثلها ( ع. ج. ) للاتحاديين فكانت تريد أن تنتزع منهم سلاحا قويا له وزنه العالمي ، يحاول الاتحاديون استخدامه لمصلحتهم ، أو قد يكون الدافع هو الرغبة في الحصول على المساعدة الاقتصادية والتنظيمية والعلمية عن طريق الصهيونيين ، في وقت بدأت الحركة العربية الناشئة تتلمس الحلول لانهاض الاحوال المتخلفة في البلاد ، وخاصة ان بعض زعماء العرب كان قد أبدى اعجابه بما حققه الصهيونيون من أعمال في فلسطين ودعوا الى أن تتخذ هذه الاعمال مادة للاقتباس(٩) .

وعلى كل حال ، لم يفصح أحد عن دوافعه في ذلك الحين ، بل عاد كاتب آخر ( أ.ص ) على صفحات الاهرام ( ٢٠ فبراير ١٩١٣ ) يكرر النصح المشوب بالانذار « ... ليتأكد إخواننا .. ان الخطة التي وضعوها لاستعمار فلسطين ستكون عاقبتها من أشأم العواقب عليهم ... وعسى أن تجد نصيحة الاهرام منهم قلوبا واعية » . وجاء الرد على عرض التفاهم بتوقيع صهيوني في الاهرام ( ٢٠ فبراير ) . الكاتب مع تفهمه رغبات ( ع. ج. ) يريد أن يتأكد ، ان كان هذا الرأي يعبر عن آراء العرب السوريين وان لهم استعدادا للاشتراك مع اليهود الصهيونيين في العمل واياهم لنهضة سوريا وفلسطين..» كما يريد أن يتأكد فيما اذا أخذ ( ع. ج ) آراء سواه من ممثلي الامة قبل أن يقدم العرض. ولكن ، لو كان الامر مجرد اقتراح ، فان الصهيوني يطلب أن يناقشه كبار المفكرين العرب ممن لهم كلمة مسموعة قبل أن يعطي ممثلو الصهيونية رأيهم . وقد أراد أن يستغل مناسبة هذا العرض كي يستخف بشأن ما يسميه الاعتراضات الصحافية ويبين أنها « لا تشغل بال الصهيونيين كما يظن بعض أذناب اخواننا السوريين أن أهل سوريا وأصحابها الكبار قوم لا يحبون جيرة الاسرائيليين ... » .

وعاد ( ع. ج ) ليوضح في الاهرام(١٠) ما رمى له في مقاله السابق بأن تواطؤ الجمعيتين ( أي الصهيونية والاتحادية ) على أمور معلومة تتعلق في بقعة من البقاع العربية ، لم ترق لكثيرين من اخوانه السوريين والعرب وان ما قاله انما لاجل وضع قواعد اساسية يبنى عليها اتفاق بين الصهيونيين وجيرانهم العرب على تعمير سوريا وفلسطين . واما عن تساؤلات الصهيوني فيؤكد له انه لم يدع الى الاتفاق عن عبث بل بعد بحث وترو وتمحيص ولو ان الصهيوني « رأى شذوذا من بعض من لا أخلاق لهم واعتراضا وانتقادا ، فليضرب به عرض الحائط » . والاتفاق الذي يدعو اليه ( ع. ج ) هو بين الزعماء « ... ومتى اتفق زعماء الفريقين ، فان العرب والصهيونيين يتفقون بالحال ، لان كل فريق يتبع زعماءه » . وهكذا يذلل العرب والصهيونيون بسهولة « كل العقبات التي تقف أمامهم وأمام رقيهم وتقدمهم المادي والادبي .. » .

كان أول الكتاب العرب الذين خاضوا هذا الموضوع هو حقي العظم فكتب في الاهرام عن « الهجرة واسباب مقاومتها » موضحا مقاصد الفلسطينيين والسوريين بالنسبة لاستيطان اليهود « النازحين من الظلم في أراضي فلسطين ... » . اذ تعود اسباب مقاومتهم الى بقاء المهاجرين على تابعيتهم الاجنبية وميلهم الى الاتحاديين ، وايثار الاخيرين للاسرائيليين على العرب في المناصب ، ورغبتهم اعطاء أملاك عبد الحميد السابقة الى شركات صهيونية أجنبية . اما ما عدا ذلك « ... فالعرب — وخاصة